

ظاهرة الانزياح في الأمثال الشعبية الجزائرية

The phenomenon of displacement in Algerian proverbs

عمار مسعي أحمد¹

¹ جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، ahmedammar.mesai@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/09 تاريخ القبول: 2025/05/12 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الانزياح في الأمثال الشعبية الجزائرية بوصفها نصوصا لغوية متداولة وشائعة في الأوساط الشعبية، حيث تعكس تجربة شعبية تنبع من ثقافة المجتمع وتعبّر عن لغته المتداولة التي يفهما جميع أفرادها، فالأمثال الشعبية هي خلاصة تجربة شعبية ومقدرة لغوية في التعبير عن احتياجات المجتمع الخلقية والنفسية والاجتماعية والعاطفية، حيث تحظى بقبول من طرف المجتمع الذي يتداولها في خطابه اليومي ويستحضرها في المناسبات والمحافل الاجتماعية كقاعدة اجتماعية لا يمكن الخروج عليها، وعلى الجميع أن يحتكم إليها ويعود إليها في مجال الاختلاف أو الاستشهاد ليكتسب كلامه حجية وتأثيرا على المستمع، وذلك لما تتمتع به تلك الأمثال من إنزياحات لغوية في الشكل والمضمون.

ويهدف البحث للكشف عن ظاهرة الإنزياح في المثل الشعبي وليثبت دور اللغة في التأثير عن المجتمع بخرق القواعد اللغوية السائدة على المستوى الدلالي والتركيب في عبارات قصيرة تلخص حدثا أو تجربة، حيث خلصت الدراسة على إبداعية اللغة في التعبير عن تجارب المجتمع من خلال الأمثال الشعبية في عبارات قصيرة تمثل خلاصة ثقافة المجتمع وتصوره للحياة.

كلمات مفتاحية: ظاهرة، الانزياح، الأمثال، الشعبية، الجزائرية.

Abstract:

The phenomenon of displacement in Algerian proverbs reflects a popular experience that stems from the culture of society and expresses its language. Popular proverbs are the essence of a popular experience and a linguistic ability to express the needs of society, as they are accepted by the society that circulates them in its daily discourse and evokes them on occasions and forums as a social rule that cannot be deviated from. Everyone must resort to them and return to them in the field of disagreement or citation in order for their speech to gain authority and influence, due to the linguistic displacements they enjoy in form and content.

The research aims to uncover the phenomenon of displacement to prove the role of language in influencing society by violating the prevailing linguistic rules. The study

concluded that language is creative in expressing society's experiences in short phrases that represent the essence of society's culture.

Keywords: phenomenon, displacement, proverbs, popular, Algerian..

*المؤلف المرسل: الاسم واللقب

1. مقدمة

تعد الأمثال الشعبية من الأشكال اللغوية السائدة في العرف الاجتماعي المتداولة بين أفراد المجتمع، وهو شكل تعبيرى شفوي يعبر عن مختلف مظاهر الحياة الشعبية في عبارة عن موسوعة ثقافية تشمل سلوكيات وعادات ومشاعر وأحاسيس الإنسان والمواقف التي يتعرض لها، فالأمثال الشعبية من أكثر الأنواع التي تدون مسارات للحياة الاجتماعية وما يدور فيها من علاقات وتعاملات وأحداث وتجارب كونتها الذاكرة الجماعية. حيث حظيت الأمثال الشعبية بالعديد من الدراسات شرقا وغربا لما تمثله من أهمية في الكشف عن هوية الشعوب وأهم إهتماماتها النفسية والخلقية والاجتماعية، كما أنها تصور مظاهر حياة الشعوب وآمالها وتطلعاتها في الحياة، ونظرا لأهمية الأمثال الشعبية في الثقافة الجزائرية، فقد حملت الذاكرة الشعبية الجزائرية العديد من الأمثال الشعبية التي يتداولونها في مختلف نواحي الحياة ويحتكمون لها كعرف شعبي لا يمكن الخروج عنه ولا التعالي عنه فهو يمثل للمتكلم حجية في الكلام والاستدلال، وللمخالف عنها خروجا عن عرف المجتمع، هذا الشيء سوف يعرض المعارض لها للعقاب الجماعي فيصبح منبوذا وخارجا عن قوانين العرف الاجتماعي. ويعد الانزياح ظاهرة أسلوبية تشكل مجموعة من النصوص المنطوقة أو المكتوبة، يقوم المبدع ومن خلالها بالخروج بلغته الفردية عن اللغة العادية، ويشكل الانزياح كظاهرة تميز هذه نصوص مظهرا من مظاهر الابداع والتلاعب باللغة لخلق منها لغة متميزة ومتفردة ومؤثرة وذات مردود جمالي في الأمثال الشعبية. وبناء عليه نطرح الإشكال التالي: ماهي مظاهر الانزياح في الأمثال الشعبية الجزائرية؟ وماهي أشكالها وتطبيقاتها؟ .

حيث تفترض الدراسة أن الأمثلة الشعبية هي عصارة التجربة الاجتماعية وتدل على قوة اللغة الابداعية في التعبير عن تجارب المجتمع وخلاصة ثقافته اللغوية، وبذلك يكون المثل الشعبي هو مظهر الابداع في اللغة المتداولة، وأن أساس ذلك الإبداع هو تأثير هذه الأمثال على المستمعين من خلال الخروج على النمط المؤلف في الكلام ليسترعي انتباههم ويحوز اهتمامهم، لذلك كانت هذه الدراسة للكشف عن ذلك الانزياح ومظاهره في اللغة الشفوية المتداولة في الأمثال الشعبية الجزائرية والذاكرة الجماعية للمجتمع.

ومن أجل وضع منهجية واضحة تقودنا للكشف عن إبداعية المثل الشعبي في الموروث الثقافي الجزائري، اتبعت خطة مكونة من مبحث نظري: أعرف فيه بالمفاهيم التي يمكن أن تتضمنها هذه الدراسة، ومبحث تطبيقي: أحاول أن أضع فيه القارئ مباشرة أمام ظاهرة الانزياح وتمثلاتها في الأمثال الشعبية الجزائرية محاولا الكشف عن شكلها وما

يمكن أن تضيفه للغة المتداولة من جمال وتأثير وابدع، كما يتضمن المقال مقدمة أشرح فيها الدوافع والأسباب التي دعت لهذه الدراسة وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت لها .

2. الاطار النظري: دراسة مفهوم الأمثال الشعبية وظاهرة الانزياح

1.2 مفهوم الأمثال الشعبية

الأمثال الشعبية: "هي منتج جماعي مرتبط بالبعد الجماعي الشعبي.." (أماني سليمان داود، 2009، صفحة 6) وهي تجربة إنسانية عاشها الشعب في فترة من الفترات، وتعد من أكثر فروع الثقافة الشعبية ثراء، ويتداولها الناس في المناسبات المختلفة، حيث تجسد الأمثال الشعبية تعابير تحكي عن نتاج تجربة طويلة تناقلتها الأجيال، لتخلص في النهاية إلى عبرة وحكمة. وتصور لنا الأمثال الشعبية ملامح الفكر الإنساني الشعبي بناء على سمات ومعايير خاصة. فهي في الحقيقة جزء مهم من ملامح الشعب وأسلوب حياته ومعتقداته ومعايير الاجتماعيات الأخلاقية.

فالأمثال الشعبية ليست مجرد شكل من أشكال الفنون الشعبية، بل هو عمل جبار وواعي يؤثر في نفسية أفراد المجتمع ويجبره على الانصياع له، بقوة داخلية تستحثه على التحرك والانفعال، هذا ما يجعلنا نقول أن الأمثال الشعبية لها تأثير مهم على سلوك الناس، فالمعنى والغاية والهدف يجتمعون في كل أمثال العالم، وهذه الأمثال على اختلافها تعبر عن تاريخ الشعوب وفكر الأمم، فهي إذن جزء من ملامح الشعب وقسماته وأسلوب عيشه ومعتقداته ومعايير الأخلاقية.

وتعتبر الأمثال الشعبية لونا أدبيا معبرا، ذات جرس موسيقي رائع، طريف المنحى، جلي الفكرة، عظيم الفائدة، يلخص تجربة إنسانية، أو ثقافة شعبية، يتردد على ألسنة الناس في مناسباتهم واستدلالاتهم، على أن تداولية الأمثال الشعبية مكنيتها من احتلال موقع مهم في نفس قائلها وسامعها، وجعلت لها مكان الصدارة في خطاباتهم، من حيث الأهمية والتأثير بين سائر فنون القول الشعبية.

لقد تنوعت تعاريف الأمثال الشعبية، حيث تعد حكما شعبية مجهولة القائل، وتتلخص في أنها: قول مأثور، قد ظهرت بلاغته موجز في لفظه وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأخذ ليقال في مناسبة تشبه مثل تلك المناسبة " (صيفور سليم، 2015، صفحة 117).

كما يمكن تعريف المثل على أنه: "جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل. وهو جملة محكمة البناء بليغة العبارة، شائعة الاستعمال عند مختلف الطبقات".

وتتميز الأمثال الشعبية بأنها تناول كل مناحي الحياة، "ويجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"، (بن هدوقة عبد الحميد، 2007، صفحة 11) كما أن المثل جملة مفيدة دقيقة العبارة، وغالبية الأمثال جمل موسيقية متجانسة الأوزان والكلمات، سهلة الإلقاء والتناقل والحفظ، لها إيقاع خاص. (أمينة فزازي، 2010، صفحة 122)

وفي الأمثال الشعبية تنوع التجارب وهي ناتجة عن تنوع الفكر الشعبي، لأن التجارب والحالات شديدة التنوع، ولو اقتصرنا الأمثال على إظهار جزء من الخبرات فقط لما حق لنا أن نعتبر الأمثال الشعبية صورة للفكر الشعبي وخبراته، لذلك يظهر جزء من الصورة ويخفي جزء آخر، وتكمن وظيفة الأمثال الشعبية في تسجيل خبرات الشعب

والحفاظ على قيمه وعاداته وتقاليده من الاندثار، وفي التوارث الفكري والأخلاقي، وفي نقل خبرات الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد.

2.2 ظاهرة الانزياح

يعتبر مصطلح الانزياح: تحولا أو انحرافا عن مألوف، (حسن طبل، 1988، صفحة 11) وهو من أكثر المصطلحات شيوعا بين الباحثين المعاصرين، وهذا راجع إلى تأثرهم بالدراسات النقدية الغربية الحديثة واطّلاعهم عليها، وقد تنوعت وتعددت تسميات هذا المصطلح في النقد الغربي، واختلفت معه أيضا ترجماته ومقالاته في اللغة العربية أيضا، حيث سُمّي بالعدول، والانحراف، والخروج، والخرق، والابتعاد، والبعد، والتشويش، والتشويه، والمجاوزة، والنشاز، والاتساع، والفارق، والجسارة اللغوية، والغرابة، والإخلال، والانحناء، والتجاوز، والشناعة، (عبد السلام المسدي، 2006، الصفحات 79-80) إلا أن المصطلحات التي لقيت رواجا واستعمالا من الباحثين والناقدین هي: الانزياح، ويأتي على إثره العدول والانحراف، حيث يعد ليوسبيتزر المصطلح الأخير "انحرافا فرديا بالنسبة لقاعدة ما" (جون كوهن، 1986، صفحة 16) وهي المصطلحات الأكثر نفوذا ودورانا. حيث يرد مصطلح العدول والذي هو من المصطلحات البلاغية القديمة، ورد كثيرا في كتب بلاغية ونقدية في معان كثيرة كمصطلح بلاغي، وهو في الأساس مصطلح بلاغي تراثي.. أما الانحراف فله دلالة قوية وعميقة بالجانب الأخلاقي، فقد ارتبط بالتحليل النفسي، حيث تحول إلى حقل الدراسات اللغوية ليعبر عن الخروج عن المألوف والمعتاد بطريقة الانحراف، ولعه يمكننا أن نوضح هذه المصطلحات من خلال توافقها مع الدرس اللساني ومدى تطابقها مع الدراسات اللغوية، لذلك يعتبر مصطلح الانزياح هو الأوفق في الاستعمال، بل والأكثر شيوعا واستعمالا والأقرب إلى الدراسات اللغوية واللسانية، حيث يرد مصطلح الإنزياح في كتب الأسلوبية في معنى فنيّ محدّد ودقيق جدا، ممّا يعني أنّه مصطلح لا يحمل لبسا من أي نوع، وهو الأقرب للتعبير به عن التجاوز والخرق في بنية اللغة.. وعلى هذا النحو تبني اللغة العربية منظومتها الاصطلاحية وثبّتتها، فكثر المصطلح لا تضرّ العربية بل تفتح عليها روافد كثيرة لتختار منها الأصلح والأنسب والأجمل.

يعتبر الانزياح أقوى الأركان التي قام عليه مصطلح علم الأسلوب، حتى اعتبره بعض أهل الاختصاص هو كلّ شيء فيها، بل اعتبر بعضهم الأسلوبية هي انزياح ويدل على ذلك أن كبار نقاد الأدب الغربي من أمثال: ليوسبيتزر، وجورج مونان، وتودروف، وجان كوهن، اتخذوا من الانزياح في النص الأدبي أساسا للبحث في السمات الأسلوبية التي تتميز بها النصوص اللغوية والأدبية، ويعود ذلك إلى أن الأسلوب التعبيري للأشخاص من حيث هو طريقة الفرد في التعبير سيظل دائما مقترنا بالانزياح عن اللغة المتعارف والمتألف عليها ضف على ذلك، فإن الأسلوبية نفسها كمنهج جديد في النقد والأدب قد جعلت الانزياح منذ نشأتها عماد نظريتها، ويرى ليوسبيتزر، أن الأسلوبية تحلل استعمال العناصر التي تمدنا بها اللغة، بعد أن يتم انتاجها فعلا وتنشد في المحافل والمجتمعات، وأن الشيء الذي يمكننا من كشف ذلك الاستعمال هو الانزياح الأسلوبي الفردي، وما ينتج عنه من انحراف عن الاستعمال الاعتيادي المتعارف عليه، حيث أن الخطاب الأدبي في الحقيقة يتكون من مستويين، المستوى الأول: هو مستوى الخطاب المثالي أو

الاعتيادي، ويظهر نسيجه في هيمنة الوظيفة الإبداعية على أساليب الخطاب، أي أن الغاية المنشودة من هذا الخطاب هو تبليغ الرسالة وإيصال المعلومة، لذلك فهو خطاب إبلاغي عادي. والمستوى الثاني: هو ذلك المستوى الإبداعي للغة الذي ينتمك ويخرج عن الاستعمال المألوف والعادي للغة وصيغ الأساليب الجاهزة، وذلك من أجل شحن الخطاب اللغوي والأدبي بطاقات وشحنات عاطفية وأسلوبية وجمالية هدفها التأثير في المتلقي للخطاب وشحنه عاطفياً.

أما الإنزياح الدلالي وهو أحد الصور التي تكون للإنزياح يقول عنه صلاح فضل الناقد والكاتب المصري والذي اختار له مصطلح الانحراف يقول: الانحراف الاستبدالي أي الدلالي التصويري يخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية مثل وضع الفرد مكان الجمع أو اللفظ الغريب بدل المؤلف أو الصفة مكان الاسم ويعرف الإنزياح الدلالي في البلاغة بالصورة الشعرية أو البلاغية، ويعتبر التشبيه والاستعارة والمجاز من أهم أشكال هذا الإنزياح الدلالي. (صلاح فضل، 1998، صفحة 208)

وأما الإنزياح التركيبي فهو الذي يكون على مستوى التركيب، والذي يقول عنه الناقد المصري صلاح فضل أن هذا النوع من الإنزياح يتصل اتصالاً مباشراً بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية في التركيب عندما تخرج على قواعد التركيب والنظم مثل: الاختلاف في ترتيب الكلمات، فإذا كانت اللغة تفرض نمطاً أو قانوناً تركيبياً معيناً في الكتابة فكل خروج عن هذا القانون يعتبر انزياحاً تركيبياً سواء كان الخروج يطال تقديماً أو تأخيراً ترتيب السلسلة الكلامية. (صلاح فضل، 1998، صفحة 211)

3. الاطار التطبيقي: الإنزياحات في الأمثال الشعبية الجزائرية

1.3 الإنزياحات الدلالية

تمثل الإنزياحات الدلالية في الأمثال الشعبية الجزائرية تلك المجموعة من الأمثال التي لها صورة جمالية تخرج عن الصور المألوفة في الكلام العادي الذي يتداوله الناس فيما بينهم في الخطاب اليومي، حيث يستعملون لغة بسيطة تتكون من مفردات بسيطة يفهمها المتكلم والمخاطب المتلقي المقصود بالكلام، لذلك وجود خرق لتلك القواعد المتعارف عليها دلالياً بين أفراد المجتمع الجزائري يجعلها مثيرة للانتباه، وهذا هو لب الإنزياح في الدراسات الدلالية.

حيث نسلط الضوء في هذا المبحث الدلالي على تلك الإنزياحات الدلالية في الأمثال الشعبية الجزائرية، فنقوم بشرح المثل بعد أن نختاره بناء على خروجه على النط الدلالي المتعارف عليه في اللغة العادية، ثم نقوم بشرحه حتى يتضح مفهومه ثم نوضح مواطن الإنزياح داخل المثل، فنوضح الصورة الدلالية كظاهرة أسلوبية ذات رجوع لغوي ومردود أسلوبية، ونقدمها على شكل فقرات.

*الحديث والمغزل : وهو مثل شائع جداً ومتداول في الأوساط الشعبية الجزائرية، وخاصة النسوية منها، في

المناطق الصحراوية والرعوية.

شرح المثل: المغزل : هو خشبة المغزل وهي أداة قديمة لغزل الصوف والقطن لتصنع منها الخيوط وهي عبارة عن سنبلة خشبية بثقل اما في الأعلى أو في الوسط أو في الأسفل على شكل بيضاوي أو دائري، وبه سنارة حديدية

ظاهرة الانزياح في الأمثال الشعبية الجزائرية

يلتف حولها خيط الصوف، ويضرب هذا المثل لمن يتوقف عن العمل عندما يتحدث، فيطلب منه الحديث بدون توقف عن العمل.

ويظهر الانزياح الدلالي في هذا المثل الشعبي الجزائري في صورة جميلة، وهي عبارة عن: كناية عن العمل والحث عليه والحذر من أن يلهيه الحديث عن العمل، بمعنى تكلم ولا تتوقف عن العمل، وعملية الغزل كانت المهنة الأساسية في البيئة الصحراوية والبدوية، فليس المقصود المغزل بحد ذاته وإنما المقصود لازم معناه وهو العمل وغزل الصوف لصناعة الخيوط لعملية النسيج، حيث يصور لنا المثل أهمية العمل في الأوساط الشعبية وقديسيته، وأن من أراد الاستئناس بالحديث، فلا ينبغي أن يسيطر الحديث عن العمل ويجبرك على ترك العمل من أجل، وفي هذا المثل لطيفة قد تستفاد من التأمل فيه وهي الكناية عن عدم الكسل. وفي هذه الكناية لطافة في توصيل المعنى للشخص الذي يتحدث بدون مضايقته أو إغضابه، حيث يفهمه مباشرة من خلال ذكر هذا المثل في الكلام.

***حتى يشيب الغراب:** وهو من الأمثال الشعبية الجزائرية كثيرة الورد والتداول وتستعمل كثيرا في المناسبات

الشعبية.

شرح المثل: والشيب هو ابيضاض شعر الانسان مع مرور العمر ويأتي ظهور الشعر الأبيض أو ما يسمى بالشيب فجأة وهو شيء طبيعي يصيب الإنسان نتيجة للتقدم بالعمر، أما الغراب فهو جنس من الطيور ينتمي إلى فصيلة الغرابيات، وهو من الطيور المعروفة في كثير من أصقاع العالم، كما تتعدد أنواعه وأشكاله وفصائله، ويتميز الغراب باللون الأسود وبهيبة صوته الذي جعل الناس تتشاءم من رؤيته أو سماع صوته إضافة إلى لونه الأسود القاتم.

ويظهر الانزياح الدلالي في هذا المثل في صورة غير مألوفة مقارنة بالكلام العادي في لغة التخاطب اليومي، حيث ظهر هذا الانزياح في هذا المثل على شكل استعارة حيث نرى في هذا المثل، أن القائل: قد استعار الشيب الذي يحدث للإنسان نتيجة التقدم بالعمر للغراب الحيوان ذي اللون الأسود، وحذف الإنسان وترك شيئا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا انزياح دلالي واضح في الصور التي يرسمها المجتمع على الغراب.

وتتمثل الصورة التي يوضحها هذا الانزياح الدلالي الاستبدالي بين الإنسان والحيوان، الغراب، في هذا المثل الشعبي للدلالة على اليأس من الأشياء واستحالة تحققها، أو على تلك الوعود الكاذبة التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تتحقق قطعا، فلن يشيب الغراب ولو تقدم به العمر، وهي عبارة عن من يعد بأشياء لا يمكن تحقيقها مدى الدهر والأيام، فيضرب هذا المثل تنبيها للسامع المتلقي ليقطع الأمل من تلك الوعود الزائفة أو الآمال البعيدة المنال، وهذا المثل الشعبي صورة جميلة من صور الانزياح الدلالي.

***الوقت سيف:** وهو من الأمثال الشعبية كثيرة التداول جدا، وخاصة في الأوساط التعليمية والتجارية،

وتستعمل في الدلالة على الوقت وأهميته، وتستعمل كثيرا في المناسبات والمحافل الشعبية.

شرح المثل: يُعتبر الوقت أهم ما في حياة الإنسان، حتى إنه أثنى وأغلى من المال لذلك شكل عنصرا مهما في حياة وتجارب الناس لا يمكن بحال من الأحوال التغافل عنه أو إهماله، كما أن السيف حاد وقاطع فكل من تعامل مع السيف بغير حذر أو انتباه سوف يقطعه ويعرض حياته للخطر، فلا بد من الانتباه لحدته التي تضر بالأجساد.

ويمثل الانزياح الدلالي في هذا المثل الشعبي في صورة دلالية عبارة عن تشبيه بليغ حيث شبه هذا المثل الوقت بالسيف الحاد الذي اذا نزل على الانسان قطعه إلى نصفين، وحذف أداة الشبه ووجه الشبه ، لبلاغة الصورة ودقتها في وصف المشهد وتصويره، فكما يتحذر الانسان من السيف وحدته يحذر من الوقت الذي قد يمر سريعا على الانسان ولا يقضي فيه حاجته، فبين عشية وضحاها يتقدم العمر بالإنسان فيندم على تضييعه العمر فيما لا فائدة فيه. ويضرب هذا المثل الشعبي للدلالة على أهمية الوقت في حياة الانسان، فالوقت هو المال وهو الفائدة التي يجب استغلالها بحكمة بالغة والتحكم في الوقت يجعل الانسان مديرا ناجحا وواثقا، فالوقت والسيف كلاهما حادان وإن لم يحسن الانسان التعامل معهما يعرض نفسه للخطر، وقد جاء هذا المثل الشعبي في صورة دلالية واضحة وبسيطة يفهمها المتلقي دون تكلف.

2.3 الإنزياحات التركيبية

الإنزياحات التركيبية هي خلاف الإنزياحات الأخرى فهي تظهر بوضوح على مستوى البنية اللغوية التركيبية حيث تخالف فيه البنية التركيبية التي بها انزياح البنية اللغوية للكلام العادي الذي يتسم بالبساطة والشفافية، حيث يتضح الانزياح بخرق القواعد اللغوية للتركيب اللغوي بدون تعطيل المعنى أو الخروج على قواعد اللغة العربية، فيظهر الانزياح في صور عدة كحذف لأحد أركان الجملة بعد وجود دليل في البنية التركيبية يوضح الجزء المحذوف، أو بالتغيير في مواضع الجملة دون الاخلال بالمعنى العام للكلام، أو بالثنائيات الضدية التي تعتري البنية اللغوية فيجعلها تزخر بالعديد من الإنزياحات التي تؤثر في المتلقي وتستعري انتباهه.

ويتجلى الانزياح التركيبي كظاهرة أسلوبية لها وقعها في الخطاب اللغوي، حيث تجعل من الأمثال الشعبية مدونة منسوجة بإحكام، لها تأثيرها الخاص على المتلقي الذي ينصاع لها ويتأثر بها ويجعلها سندا حجاجيا في استعمالاته اللغوية في الخطاب اليومي الذي يستعمله، فيغلق بها باب الاعراض عن كلامه أو الاعتراض عن صحته، لأنه يمثل تجربة مهمة من تجارب المجتمع لا يمكن لأحد أن يعترضها فهي تشكل عرفا اجتماعيا له سلطان على المتكلمين، وهنا تظهر سلطة الخطاب اللغوي من خلال تلك الإنزياحات اللغوية في الجانب التركيبي، حيث يظهر للمتلقي أن هناك تحريك وتغيير في بنية التركيب اللغوي من خلال التقديم والأخير، أو الحذف، أو الطباق، أو غيرها من الوسائل اللغوية التي تظهر الإنزياحات على مستوى التركيب.

حيث نقدم أمثلة عملية من المدونة الشفوية للموروث اللغوي المتوارث من الأجداد إلى الأبناء إلى الأحفاد للأمثال الشعبية الجزائرية، فنقوم باستخراج الأمثال من المدونة المتداولة ونشرحها ثم نكشف مواطن الانزياح الموجود على مستوى البنية التركيبية ونبين نوعه ، في أمثلة مختلفة ومتنوعة.

***العري يعلم الخياطة والجوع يعلم السقطة :** وهو من الأمثال الشعبية كثيرة التداول ويدل على شيئين هما

أن على الانسان أن يتعلم خياطة القديم من ملابسه، وأن يبتعد عن سقطات العري والجوع التي تجعل الانسان حقيرا بدون مكانة إجتماعية عندما يضعف أمام شهوة الجوع فيذل نفسه للمتفضلين عنه.

شرح المثل : يعتبر هذا المثل بمثابة التوجيه الاجتماعي للناس حيث يحث المقطع الأول من المثل "العري يعلم الخياطة" على تعلم الخياطة للقديم من الثياب فهو يغني عن التطلع للجدید منها، ويغني عن التطلع لما في يد الناس من الجديد، كما يحث المقطع الثاني من هذا المثل "الجوع يعلم السقاطة" على الحذر من السقوط في فتنة الجوع والتي تهوي بصاحبها عن التعفف عما في يد الناس، ويحذر المثل من السقوط من أعين الناس وفقدان المكانة الاجتماعية عندما يسلم الانسان نفسه لشهوة بطنه وألم الجوع الذي يجعله يتبع الأكل في كل مكان ، ويعتبر الانزياح الموجود في هذا المثل انزياحا تركيبيا وهو من باب التقديم والتأخير حيث نلاحظ في المقطع الأول من هذا المثل " العري يعلم الخياطة" تأخير الفعل : يعلم، عن الفاعل: العري، وهو من باب تعجيل المساءة "العري"، حتى يحذر الناس ويتجنبوا أن يقعوا في مثل هذه الحالات التي تدنس المكانة الاجتماعية للإنسان وتنزل به في حضيض الدرجات الاجتماعية.

ويلاحظ أيضا التقديم والتأخير على المقطع الثاني من هذا المثل " الجوع يعلم السقاطة" حيث قدم : الجوع، على : التعليم، تعجيلا : بالمساءة لينبه به على شيء مهم وهو أن الجوع في حد ذاته سيصبح سلبيا لأنه يقع بصاحبه في : السقاطة، وهي السقوط من عين الناس والتزول في الدركات الاجتماعية، ليبين هذا المثل ظاهرة اجتماعية في غاية من الازدراء والبعد الاجتماعي .

***صام صام وأفطر على جرادة :** وهذا المثل كثير الورد والتداول بين الجزائريين خاصة وأنه يدل على نفاذ الصبر وتضييع الفرص، فمن جهة هذا المثل يحث على الصبر وتحمله، ومن جهة أخرى يبين أن ضعف الصبر والايما الذي يصوم على المباحات ويفطر على الأشياء التي تضع من قدره.

شرح المثل : يعتبر هذا المثل دقيقا جدا في توجيه الشعب إلى غاية نبيلة وهي الصبر، لكن هذا الصبر لا بد أن يكون على شيء نبيل وغاية نبيلة لتكون النتيجة بقدر الصبر عليها، لكن هذا المثل يوضح عظم الصبر عند بعض الناس، أي أن لهم قدرة على الصبر كبيرة جدا، لكن بمقابل ذلك لهم ضعف كبير في قدرتهم على إدارة أنفسهم والصبر على شهواتهم ، فكان هذا المثل توجهها على تضييع فرصة الصبر وعدم نيل الجائزة عنها والسقوط في الانجرار وراء ضعفهم . كما يضرب هذا المثل لمن يضيع الفرص قبل اكتمالها ويتعجل النتيجة قبل استيفاء أسبابها فلا يجني من صبره غير التعب .

ويعتبر الانزياح الموجود في هذا المثل انزياحا تركيبيا وهو من باب الطباق وهو من باب الجمع بين الشيء وضده، حيث نلاحظ أن هذا المثل جمع بين الضدين وهما: صام، وأفطر، حيث أضفى هذا الطباق على هذا المثل قوة في المعنى فالصيام دليل على الصبر والافطار دليل على نهاية الصبر لكن عندما يصبر الانسان ويصوم ثم يفطر على : جرادة، وهي حيوان صغير يطير من ورقة إلى ورقة، فهي جائزة غير متوقعة، ونتيجة تدل على العجلة وسوء التصرف، وهذا الطباق هو طباق السلب.

***إزرع ينبت :** وهذا المثل من الأمثال الشعبية ذائعة الصيت ، فهو يدل على الحث على الزراعة سواء في موطن الحرث للغلال، أو في موضع الأخلاق والسلوكات، فما على الانسان إلا أن يزرع وسوف ينبت هذا الزرع لامحالة.

شرح المثل : يعتبر مختصرا جدا لما فيه من حذف يستطيع المتلقي أن يدركه ويأوله ، ويضرب هذا المثل في الحث على الزراعة والتي تكون نتيجتها النبات والثمار التي يجنيها الزارع، وقد استعمل المثل كلمة الزراعة بدل الغراسة،

فالزراعة سهلة ومستساغة ونتيجتها سريعة جدا على عكس الغرس، حيث يحث المثل الناس على فعل الخير أولا لينال الخير لاحقا فلا بد أن يقدم الانسان العمل الزراعي أولا ليحصل على النبات وينال النتيجة آخرا، فمن زرع خيرا نبت خيرا، ومن زرع شرا نبت شرا. فمن يزرع الخير لا يعدم جوازه، فلا بد أن يناله عاجلا أم آجلا .

والانزياح التركيبي الموجود في هذا المثل هو: الحذف، حيث نلاحظ أنه في هذا المثل الشعبي قد حذف : الفاعل : الزرع، وقد حذفت من المثل لوجود دليل عنها في أوله وهو فعل الأمر: ازرع، وهذا يجعله من المحذوفات المستحسنة في التركيب بما أن المحذوف وجد دليلا من الترطيب نفسه، وهذا الحذف جعل هذا المثل يتمتع بجمالية كبيرة فمن جهة زاده الحذف جمالا ودقة، ومن جهة أخرى جعله سهلا للحفظ والتداول بين أفراد المجتمع مما أكسبه مقروئية وشيوعا.

4. خاتمة

يمكننا القول أن الأمثال الشعبية لا يوجد لها تاريخ انتهاء، فهي تتسم في الحقيقة بالمقروئية وبالديمومة، ويمكن إطلاقها في أوقات متغيرة وأزمان مختلفة، والهدف من نقلها الاستفادة والتأثير في المتلقي.

وتعتبر الأمثال الشعبية أحد أعمدة الأدب، سواء في جانبها الفصيح أو في جانبها الشعبي، خاصة وأن المجتمع تلقاها بالقبول وتناقلا بالمشافهة بين أفرادها، فهي تعتبر من أهم الذخائر الأدبية ذات الأهمية الكبيرة نظرا لتأثيرها وشيوعها وقوتها وذلك لدقتها وعباراتها الوجيزة وملامستها لحياة الناس وتجاربهم وخبراتهم وسهولة حفظها.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة وهي : أن الأمثال الشعبية تتميز بسهولة الألفاظ ولطافة المعنى وحسنت التركيب وجزالة اللفظ وحسن الإيجاز، وسهولة التداول، والغني بالمفردات ذات التأثير الاجتماعي التي تمس الاحتياجات اللغوية والثقافية التي تعبر عن روح المجتمع وصلب اهتماماته، فهي بحق خزان الموروث الشعبي وخلاصة التجربة الاجتماعية، وقمة اللطافة اللغوية التي تحكي التجارب الانسانية في أبسط صورها.

تتميز الأمثال الشعبية الجزائرية بإيجاز اللفظ فهي مكونة من نسيج لغوي يحمل أقل قدر من الألفاظ، ويحمل أيضا أكبر قدر من الدلالة التي تدل على ثقافة الشعب الذي نشأت في موارثه هذه الأمثال، حيث شكلت ظاهرة اجتماعية تستحق الدراسة والتحليل من جميع النواحي الدينية والثقافية والتربوية والاجتماعية، فقد شكلت ولا زالت مادة خصبة في اللغة المنطوقة والشفوية التي تتداول بين أفراد الشعب ويتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل، وقد تنمطت بتغيرات كثيرة إلا أنها بقيت محافظة على معانيها دقيقة في ألفاظها غنية بالإنزياحات.

ومن خلال دراستنا للانزياح كظاهرة أسلوبية تعني الخروج عن النمط الألوف في الكتابة، حيث جعلنا الأمثال الشعبية الجزائرية المتداولة والشائعة بين أفراد المجتمع الجزائري مدونتنا الخاصة، لاحظنا غنى الموروث الثقافي للأمثال الشعبية بالعديد من الإنزياحات الدلالية والتركيبية، حتى لا يكاد يخلو مثل من هذه الأمثال من ظاهره انزياحيه، ولعل هذا هو السبب الذي أكسب هذه الأمثال الديمومة والتناقل بين الأجيال ، وأكسبها سهولة الحفظ، وسرعة التردد.

ظاهرة الانزياح في الأمثال الشعبية الجزائرية

حيث نرى أن الإنزياحات العديدة في لغة الأمثال الشعبية الجزائرية جعلتها ميدانا خصبا للاستشهاد بها في الكلام المتداول بين أفراد المجتمع كدعامة أساسية في توضيح الكلام كلما عسر على المتلقي فهم الكلام، أو كلما أراد المتكلم أن يوجز كلامه ويختصره، أو أراد أن يحتج به ويقطع الإنكار من طرف خصومه والمتلقين لخطابه.

تمثل الصورة الجمالية في الإنزياحات الدلالية في الأمثال الشعبية صورة واضحة عن التذوق اللغوي الفريد للغة العربية في المجتمع الجزائري، بالرغم من التنوع اللهجي وتنوع المناطق و الشلحات اللغوية في مختلف ربوع الوطن الجزائري، إلا أننا لاحظنا أن هذه الأمثال شديدة التداول وكثيرة الورد على لسان الناطقين داخل هذا المجتمع، بجمالية عالية وإنزياحات مختلفة لا تكاد تنقطع أو يخلو منها مثل واحد من تلك الأمثال، وهذا في الحقيقة مثير للانتباه ويجعلنا ننبه الباحثين إليها.

ومن التوصيات التي توصلت إليها هذه الدراسة وتدعوا إليها بشدة: هي أن تدرس لغة الأمثال الشعبية كلغة مشتركة ومتداولة ومفهومة وواضحة بين أفراد المجتمع الجزائري، هذا يجعلها مادة خصبة للدارسين سواء منهم العاكفين على إعداد البرامج التعليمية والباحثين عن المادة اللغوية المناسبة لتلك المناهج، أو أولئك العاكفين على الدراسات الاجتماعية والباحثين على سبل التواصل داخل المجتمعات وطرق تحقيقها، اذن الأمثال الشعبية الجزائرية مادة خصبة من جميع النواحي اللغوية، والاجتماعية، والعاطفية، والنفسية والتربوية.

5. قائمة المراجع:

مراجع

- 1- أماني سليمان داود. (2009). الأمثال العربية القديمة - دراسة أسلوبية سردية حضارية (المجلد ط1). الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- 2- أمينة فزازي. (2010). مناهج دراسات الأدب الشعبي (المجلد ط1). الجزائر: دار الكتاب الحديث.
- 3- بن هدوقة عبد الحميد. (2007). أمثال جزائرية: أمثال متداولة في قرية الحمراء ولاية برج بوعريش. الجزائر: دار القصة للنشر.
- 4- جون كوهن. (1986). جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي، محمد العمري، ط1، دار توبقال، 1986، ص. 16. (المجلد ط1). (ترجمة محمد الولي، محمد الولي، المترجمون) مصر: دار توبقال.
- 5- حسن طبل. (1988). أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية (المجلد د. ط). القاهرة: دار الفكر العربي.
- 6- صلاح فضل. (1998). علم الأسلوب (المجلد ط1). مصر: دار الشرق.
- 7- صيفور سليم. (2015). العنف في مضمون الأمثال الشعبية (المجلد 14/13 ديسمبر). الجزائر: مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية.
- 8- عبد السلام المسدي. (2006). الأسلوبية و الأسلوب (المجلد ط5). لبنان: دار الكتب الجديدة.